

مقياس تعليمية الفلسفة – الإرسال الثاني –

ماستر: سنة أولى تخصص فلسفة غربية حديثة و معاصرة.

الأستاذ : غوزي مصطفى

التساؤل الثاني: سؤال مهمة المعلم

1- سؤال التوجيه: تعد مسألة مهمة المعلم من بين المسائل الأكثر إثارة للجدل في وسط الممارسين و المكونيين و الباحثين، جدل تمخّضت عنه رؤى مختلفة، من بين تلك الرؤى، وجهة النظر التوليدية السقراطية التي يميّزها الطابع الأمر المفرد، و التي تُلزم التلاميذ الإجابة حالا عن الأسئلة المطروحة، و تقصد الصرامة، و لا تُعير للتواصل بين المعلم و التلاميذ وزنا. الرؤية الثانية، تتبنى بروتوكولا يسمح للتلاميذ بالتحدث دون تفاعل و بتواجد المعلم كائنا صامتا، الهدف من هذا لا يكمن في تكريس الحوار، بل بناء هوية الطفل، باعتباره ذاتا مفكرة. الرؤية الثالثة، تظهت أمام العيان عملية، يتفاعل في إطارها الأطفال بطريقة تدريجية تُحقّق حوارا ثنائيا آخر المطاف. الرؤية الأخيرة، غايتها الديمقراطية، أرضيتها نقاش يجري بمقتضى بيداغوجية مؤسسية، تُفوّض مهام محددة توكل للتلاميذ.

- التدخل من عدمه على مستوى المحتوى: يُبنى التعليم الكلاسيكي وفق براديفم¹ يكرس منطق التعليم و النقل، ففي هذا النوع من التعليم تنجّه مداخلات المعلم و تُركّز على المحتوى، أي تُعطي المضامين الفلسفية أهمية قصوى، و يتم ذلك بواسطة محاضرات تستنطق التيارات و مختلف النظريات الفلسفية؛ أو بعبارة أوجز، فإنّ مهمة المعلم تُعنى ببسط تاريخ الفلسفة، تبعاً لما ترسّب من أفكار في ذهن المعلم حول الموضوع ذاته، و الهدف من وراء ذلك تقديم فكر حيّ، استنادا لتفسير نصوص فلسفية مقترحة، بوصفها نماذج براديفمية، و علاوة على ذلك، فإنّ منطق التعليم و النقل فرصة سانحة لنقل الإشكاليات الفلسفية و تفسير و معرفة مثلا: لماذا هذا الفيلسوف اقترح هذا الحلّ دون ذاك حتى يُعطي التلاميذ معالم مساعدة، تكون بمثابة الانطلاقة على مسار تفكيريّ خاص بهم.
- أما إن تعلقّ التعلّم بالفئات العمرية الدنيا، أقصد الفئات ما قبل ثانوية، و التي ربما قد لا يسعها الوضع من استيعاب الدرس الفلسفي المتسم بالتجريد زيادة و التعقيد الظاهر، من الارتقاء إلى مستوى مقبول من الفهم، فهم نصوص فلسفية لكبار الفلاسفة؛ ارتأى أهل الاختصاص من ذوي الخبرة، المشهورين بالكيفية " الفلسفة لأجل الأطفال – PPE - تفضيل براديفم يقوم على مشكلة، أقل تجريد، و ذلك بتطوير منطق التعلّم، الذي يُقدّم ثقافة السؤال، على ثقافة الإجابة لدى الأطفال. ثقافة تسمح

- البراديفم تمثل أو تصور للعالم و طريقة ما لرؤية الأشياء، و هو أيضا نموذج متنسق للعالم يبنى على أساس معين، و هو عند الفيلسوف كون
اكتشافات علمية كونه ظرفية تمنح لمجموعة من الباحثين مشكلات نوعية و حلول¹

لهذه البراعم بالتساؤل و البحث في إطار تدبري؛ لذا، فالواجب على المعلم أن لا يحدّ من تدخلات التلاميذ، فلا يمنعهم من النقاش و تدارس القضايا فيما بينهم، و لا يحشو أدمغتهم بإجابات جاهزة، و عليه في المقابل، ترك الباب مشرعا، أمام الأسئلة ليكتشف التلاميذ هم أنفسهم الحلول الممكنة. و هذا ما نراه قد تجسّد في محاورّة المادّة²: الشّاب ألسيبياد على أهبة الاستعداد لتقدّم جسده ثمنا، مقابل الحكمة، التي مجوزة سقراط، ظنا منه أنّ الحكيم سقراط له من السلطات الفكرية التي تجعله مؤهّلا إلى تسليم الحكمة لمن أرادها، غير أنّ الواقع ليس ذاك الذي يشتهيّه الشّاب، فنرى سقراط – لعدم قدرته تلبية المراد – يتهرّب محيلا الكلمة لأقتون؛ لاعتقاده أنّه لا يعرف، و من لا يعرف لا يمكنه الادعاء بحياتّه الحكمة، فكل -كما يقول- ما أعرفه أنّي لا أعرف شيئا. و عليه – و تلكم هي المعضلة – ما السبيل إلى نقل " لا معرفة فلسفية" إلا باستمرارنا تمريرها بصفته رغبة، أي على المعلم العمل بجد و همة على خلق جو فكري ملائم و عوامل مساعدة تجعل من رغبة البحث و السّؤال متمكنة من التلاميذ، فتسكنهم، كما يسكن الجن الذات، ما يستلزم اضطرارا تحلي المعلم بخصلتين، الخصلة الأولى التواضع فيما تعلق بامتلاك الحقيقة، و في تقديري الشخصي على المعلم أن يلازمه الشعور الشديد بالفقر المعرفي، و لا يبارحه، و ينبغي على الأقل أن يعطي الانطباع بأنّه ذاك الشخص الذي هو على الدوام في حالة بحث و تحري أمام الكم الهائل للألغاز التي يكتنف الوضع البشري، و المؤشر على سريان حالة البحث و التحري و واقعيتها، الفضول الذي يظهره بكل وضوح إزاء إجابات التلاميذ و تصوراتهم، مقدّرا هذه الإجابات و مثمنا تصوراتهم، هذا من جهة، و من جهة أخرى، اقتضاء الحقيقة و إلزاميتها، بصفته رغبة، التي تُشكّل وضعا تشاريكا بين المعلم و التلاميذ، مجافيا لكل دوغمائية، يتحرك باستمرار و بتدرج، متكون نتيجة المجهودات الثنائية، و بفعل عمل تقدي مسلّط على الآراء³ DOXA أثناء مجريّات التبادل الفكري.

في المقابل يرى لفيف من الكتاب أنّ المعلم يمكن له التدخل، إن التزم بطبيعة الحال ببعض الشروط، فإنّ لا وجود لتساوي معرفي بين ما يعرفه المعلم و ما يعرفه التلميذ، فإنّ هناك في المقابل تساوي على مستوى الرغبة في إثبات الحقيقة. لذا يجب على المعلم أن يُكيّف مداخلته، و لا يوجي للغير بأنّه بصد التعبير عن أفكاره الخاصة، لكي لا تتحول فتستحيل وسيلة ضغط و تسلّط على فكر التلاميذ، و هذا الذي كان يدعوّه جون جاك روسو ب: " الحيلة البيداغوجية".

تتحرك الإشكالية من ثمة، بين موقع مداخله المعلم حول المحتوى، و مداخله معدّلة تجعل من إبداء الموقف أمرا واقعا، دون أن تكون في الوقت نفسه بديلا لفكر التلميذ.

التساؤل الثالث: سؤال تكوين المعلمين:

² - المادّة أو الندوة من النصوص الفلسفية المهمة للفيلسوف أفلاطون يعود تاريخه بين عامي 385 - 370 قبل الميلاد، يتألف بالأساس من سلسلة طويلة من الحوارات الطويلة تعالج طبيعة الحب و فضائه.

³ - مصطلح الدوكسا يُعيّن في الفلسفة جملة من الآراء المنسقة إلى حدّ ما، التي يعترها حيننا غموضا، و حيننا آخر وجهة، عادة ما تكون مقبولة، تُقيم إيجابا أو سلبا، تؤسس عليها كل أشكال التواصل، ما عدا بطبيعة المقال، الآراء العلمية، خاصة تلك التي تعتمد لغة الرياضيات.

قد يلحظ المتتبع الحذق أو حتى ذاك الأقل حذاقة، أنه متى وُتبع نطاق تدريس مادة الفلسفة للفئات العمرية الصغرى، المرحلة الابتدائية مثلا، فلا محالة مذاك الوقوع في شرك المفارقة، لجدة ما سوف يقترح على التلاميذ من مادة معرفية فلسفية، و لمن توكل له مهمة خاصة تُلقى على عاتقه، فلا حول له ولا قوة، وإن قيل و بعد المعاينة الواقعية، أنه يشكو ضعفا معرفيا في هذا الباب، فالأمر لا يدعو إلى الاستغراب البتة، نظرا لأن المسار التعليمي لهذا المعلم، لم يكن بأي حال من الأحوال كفيلا بأن يضمن له المادة العلمية في الاختصاص، و التي تؤهله لأداء المهمة في الصورة المقبولة. و أي محاولة حينئذ لتدريس هذه المادة، لن تكون إلا محاولة مبعثها التطوع، و محركها بنية جمعية لا مؤسسية، نظرا لأن المادة لازالت لحد الساعة لم تنخرط بعد في جسم المقررات الوزارية الرسمية.

السؤال الأول: سؤال التكوين الأكاديمي للفلسفة.

لا يخفى على كل مطلع أن طلبة شعبة الفلسفة في عموم البلدان يلقون تكوينا كلاسيكيا يتمحور حول الأنساق الفلسفية الكبرى التي يحفل بها تاريخ الفلسفة الغربية. غير أن هناك في الأفق بديل يرى فلسفيا على هيئة براديجم استشكالي يركز على الإشكاليات الفلسفية، في الواقع هذا النوع من البراديجم تسعى دولاً إلى تطبيقه و تبنيه في مناهجها الرسمية، سواء في المرحلة الجامعية و المرحلة الثانوية، و الجزائر من ضمن هذه الدول، و يسعى هذا البراديجم إلى جعل الطلبة أهل مواجهة أصحاب ألسن مُعبّرة، و التوجه هذا، هو الذي تسعى " الفلسفة من أجل الأطفال " إلى تطبيقه و تكريسه ميدانياً. حتى و إن مثّل - التوجه - رؤية الأقلية.

فأمام معلمين يخونهم التكوين الفلسفي المرجو، أو الذين كانت لهم معرفة بقدر قليل، معرفة قد استقرت في ذاكرتهم زمن الدراسة الثانوية، سيكون من الطبيعي جدا أن تُقدّم لهم مادة دسمة أو تكوين فلسفي معتبر، من نظريات و نصوص و حتى مآثر فلاسفة كبار، نحن في هذه الحالة إزاء نقل مضمون، أي نقل أفكار، نقل تراث. يلاحظ على هذه البيداغوجية مأخذ، قد يكون أهمها متمثل في أن امتلاك معارف لا يعد هذا كافيا لبناء كفاءات، و البديل هو أن يكون المعلم في وضعية من يتعلم التفلسف و ليس فقط يتعلم الفلسفة، ليتمكن بعد ذلك أن يعلم هو بدوره الأطفال - ما السبيل إلى التفلسف - . فالقضية بالنسبة للمعلم و أيضا بالنسبة للأطفال. ليس في الحياة على كم معرفي فلسفي. تباهى به. و مادام الأمر كذلك، فهل من الحتمي الالتزام بتكوين أكاديمي و إتباعه؟ يشند الجدل بين الباحثين حول هذا السؤال، فمنهم من يرى ضرورة الالتزام بتكوين أكاديمي، و من يرى من جانب آخر أنه يمكن الاستغناء عن التكوين الأكاديمي، و هؤلاء هم أنفسهم ينقسمون إلى فئات، كل فئة تركز إلى موقف خاص، فالفيلسوف ليمان و من سار في نهجه، يعتقد أن الأهم هو التحكم في المجموعة البحثية، أما الفيلسوف لوفين فيرى ضرورة أن يكون الطفل في وضعية تُسهّل له الانخراط في العملية التواصلية، و فريق آخر يتساءل عن جدوى و طبيعة التكوين الأكاديمي، فتعلم التفلسف بالنسبة للأطفال لا يقصد من ورائه تلقين أفكار فلاسفة أو كتاب، إنّما حثهم على أن يكونوا أصحاب تفكير تدريبي. في الضفة الأخرى، الذين يرون ضرورة التكوين الأكاديمي، يؤكدون على أنه لا معنى للتفلسف

دون فلاسفة.لذا فمن المنطقي أن يؤخر زمن التفلسف. و هناك من يرى أن تعلم الفلسفة يقتضي ابتداء السماح للتساؤل من البزوغ و الظهور، ثم بيانه في عبارة و مرافقته على أساس عمل نقدي يقوم به فريق تدريبي - كوجيطاوي - .

ملاحظة هامة للغاية: على الطلبة الذين لم يقدموا لحدّ الآن عملا، أن ينجزوه، و متى أنجزوه،

يقومون بإرساله لي على هذا الرابط - رابط الأستاذ مصطفى غوزي - :

mus.ghouz@gmail.com العمل كما جرت العادة نص فلسفي يعالج مسألة من مسائل التعليم و

التربية أو جزء من درس نظري منتقى من المنهاج الرسمي - سنة ثانية أو سنة ثالثة ثانوي - أو مقالة

فلسفية تعنى هي أيضا بقضية من قضايا التعليم و التربية، كل ذلك ينجز بمقتضى خطوات منهجية

واضحة المعالم، قد تمّ التعرف عليها و التطبيق عليها سلفا. لا نرغب على الإطلاق أن نرى هذه الأعمال

المقترحة، استنساخا لأفكار الغير و نقلا لها. سواء أكانت هذه الأعمال نصوصا فلسفية أو مقالات

فلسفية، أما الدروس النظرية فالأمر مختلف، لاختلاف طبيعة النشاط و خصوصيته. بالتوفيق